مراعاة القرآن الكريم لمخاطبة النفس البشرية

(دراسة موضوعية)

إعداد

د/ نواف مزيد حسن السريحي

دكتور في إدارة الدراسات الإسلامية

دكتور منتدب في كلية التربية الأساسية

دكتور منتدب في الجامعة العربية المفتوحة

فرع الكويت سابقاً

مراعاة القرآن الكريم لمخاطبة النفس البشرية (دراسة موضوعية)

نواف مزيد حسن السريحي

قسم التفسير وعلوم القرآن ، إدارة الدراسات الإسلامية ، ومنتدب في كلية التربية الأساسية ، المملكة العربية السعودية.

البريد الالكتروني : nawaf_.10@hotmail.com

الملخص:

هدفت الدراسة التعرف على ملامح مخاطبة القرآن الكريم للنفس البشرية، وتكونت الدراسة من: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، تضمنت المقدمة أهمية الدراسة ومنهجها والدراسات السابقة وخطة الدراسة، ووضح التمهيد النفس البشرية في اللغة والاصطلاح، بينما جاء المبحث الأول، بعنوان: النفس في القرآن الكريم معانيها ومرادها، وجاء المبحث الثاني، بعنوان: النفس البشرية في القرآن الكريم حقيقتها وبيانها، ثم الخاتمة: وتتضمن أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيات، وكان منها: أن القرآن الكريم عندما يتحدث عن النفس وحقيقتها لم يكن يقصد النظر القريب لتلك الآية، إنما يراد الوقوف على مواطن العظة والعبر في كل واحدة منها. أن الله تبارك وتعالى عندما وجه خطابه للإنسان لم يذكر له وسيلة معينة إلى الفهم والتدبر، إنما تركه يبحث ويستكشف الطرق الموصلة لهذه الغاية. طريقة القرآن الكريم في بيان النفس البشرية يخاطب الفطرة ويدعوها إلى الإيمان. ذكر النفس في القرآن الكريم جاء من أجل بيانها وتزكيتها، وحملها على مقتضياته الأخلاقية والعملية. حين اصبحت الشريعة الإسلامية بهذه القوة في أسلوبها وبيانها، دخل الناس في دين الله تبارك وتعالى. مهما حاول علم النفس أن يرتقي البشرية، ويعطيها الصورة المثالية التي يريدها، لم يستطع ذلك أمام قوة وبيان القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم ، النفس البشرية، الفهم والتدبر، الشريعة الإسلامية، علم النفس.

The Consideration of the Quran for Addressing the Human Soul (objective study)

Nawaf Muzid Hasan Al-Saraihi
Ph.D in Islamic Studies Administration
Formerly an Associate Professor at the College of Basic Education
Formerly an Associate Professor at the Arab Open University, Kuwait Branch
Email: nawaf_.10@hotmail.com

Abstract

This study aimed to elucidate the Quran's consideration in addressing the human soul, emphasizing the importance of living with the Quran through study, contemplation, and reflection. The research balanced between psychological science and the Quranic guidance for building the human soul. The study employed a descriptive-analytical methodology, enhancing viewpoints with supporting evidence. The study plan comprised an introduction, a preface, two main sections, and a conclusion. The introduction outlined the study's significance, methodology, previous research, and the study plan. The preface section explored the meanings and intentions of the soul in the Quran, while the second section delved into its status quo and manifestation. The conclusion summarized the study results and recommendations. not lessons and reflections in each one. Allah, when addressing humans, did not specify a particular means for understanding and contemplation but encouraged exploration and discovery of suitable paths. The Quran's method of portraying the human soul addressed innate tendencies, inviting them to faith. References to the soul in the Quran served to clarify and purify it, guiding it towards ethical and practical responsibilities. The strength and clarity of Islamic law, as expressed in the Quran, led people into the fold of Allah's religion. Despite psychology's attempts to elevate humanity and present an ideal image, it could not compete with the power and clarity of the Quran.

Keywords: The Holy Qur’an, The human soul, Understanding and contemplation, Islamic law, Psychology

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق نبي الحق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،،،

فقبل الخوض عن النفس البشرية كما سيكون مبحثنا هذا بفضل الله تعالى، نوضح ونبين أولا إلى ما هو المقصود في النفس في اللغة والاصطلاح، وللنفس معاني كثيرة عن أهل اللغة، بعضها له صلة بما أريد الإشارة إليه، وهو الخوض عن النفس البشرية التي تتمون بها الشخصية وتؤثر في سلوكها، والبعض الآخر بعيد عما اردت الإشارة إليه، وسوف أوضح وأكتفي هنا بذكر بعض هذه المعاني.

أهمية الموضوع:

تتلخص أهمية الموضوع في أهمية العيش مع القرآن الكريم دراسة وعناية وتفكر وتدبر، كما أن موضوع البحث يعد موازنة بين علم النفس وبين ما وضعه الشارع في كتابه العزيز لبناء النفس البشرية وهو أعلم بها.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الكتب والرسائل العلمية التي تناولت كل جانب بشأنه بينما جاءت دراستي لبيان أن القرآن الكريم هو أساس أي علم وواضع لقواعده فعلى سبيل المثال:

- النفس البشرية في ضوء الكتاب والسنة، د. محمود فتوح محمد سعدات، دار النشر: الهدى للطباعة، ط ٢، ١٤٤٣٦هـ.
- النفس في القرآن الكريم، الكاتب/ محمود السيف، الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ٢٠٠٨م.
- علم نفس قرآني جديد، د. مصطفى محمود ، دار النشر: أخبار اليوم .

- علم النفس معرفة النفس الإنسانية في القرآن والسنة، المؤلف/ سميح عاطف الزين، الناشر: دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني، تاريخ النشر: ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٥م.

-النفس الإنسانية في القرآن الكريم، المؤلف/ إبراهيم محمد سرسيق، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

وبصفة عامة تميزت الدراسة عن الدراسات السابقة في تركيزها على ملامح مخاطبة النفس البشرية في القرآن الكريم.

منهج الدراسة:

لقد اتبعت في دراستي المنهج الوصفي التحليلي لبيان ما أذكره معززا آرائي بالدليل عليها.

خطة الدراسة: تتكون خطة الدراسة من: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، كالتالي:

المقدمة: وتتضمن ما تتضمنه المقدمات من أهمية الدراسة ومنهجها والدراسات السابقة وخطة الدراسة.

التمهيد، وجاء بعنوان: النفس البشرية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول، بعنوان: النفس في القرآن الكريم معانيها ومرادها.

المبحث الثاني، بعنوان: النفس البشرية في القرآن الكريم حقيقتها وبيانها.

الخاتمة: أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيات.

تمهيد

النفس البشرية في اللغة والاصطلاح

جاءت بعض التعريفات في كلمة النفس في اللغة على عدة معاني منها: أولًا: النفس بمعنى الروح، مثالاً: خرجت نَفْس زيد؛ أي: روحه[١]، ومنه قولهم: فاضَتْ نَفْسه؛ أي: خرجت روحه[٢].

ثانيًا: النفس بمعنى حقيقة الشيء وجملته، مثالاً: قتل زيد نفسه؛ أي: ذاته وجملته، وأهلك نفسه؛ أي: أوقع الإهلاك بذاته كلها[٣]، ومنه قول صاحب الصحاح "والتكبر: هو أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره"؛ أي: ذاته[٤].

ثالثًا: وتأتي النفس بمعنى "الحسد، والعين، يقال: أصابت زيد نَفْسٌ؛ أي: عَيْن.[٥]

رابعًا: وقد تأتي النفس بمعنى الدم، بمعنى أنه إذا فقد الإنسان دمه فَقَد فقد نَفْسه؛ أو لأن النَّفْس تخرج بخروجه الدم، وفي الحديث: "ما ليس له نفس سائلة لا يُنجِّس الماء إذا مات فيه"[٦].

---

١ لسان العرب للمؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، ابن منظور الأنصاري، الرويفعي، الإفريقي، (المتوفى: ٧١١ هـ).

٢ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية؛ للمؤلف: أبو نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (المتوفى: ٣٩٣هـ).

٣ باختصار وتصريف من لسان العرب.

٤ باختصار من كتاب الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للمؤلف: أبو نصر إسماعيل ابن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣ هـ).

٥ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز؛ للمؤلف: مجد الدين، أبو طاهر، محمد ابن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧ هـ).

٦ انظر: لسان العرب.

خامسًا: وقد تأتي النفس وهو ما يكون به التمييز، والعرب قد تجعل النفس التي يكون بها التمييز نفسين؛ وذلك لان النَّفْس قد تأمره بالشيء وتنهَى عن شيء آخر، وذلك عند القيام على أمر مكروه، فجعلوا التي تأمره نَفْسًا، والتي تنهاه نفس أخرى[١].

سادسًا: وتأتي أيضاً النَّفْس بمعنى الأخ[٢]، ومنه سبحانه وتعالى : ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ (النور: ٦١). إذاً فجمع النفس يكون :أنفُس ونفوس.

تعريف النفس في الاصطلاح:

قال الجرجاني في كتابه التعريفات: وهو يتكلم عن النفس وتعريفاتها واحوالهم وانواعها" النَّفْس هي الجوهر البخاريُّ اللطيف، الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، وسماها الحكيم: الروح الحيوانية، فهو جوهرٌ مشرق للبدن، فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه، وأما في وقت النوم، فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه.[٣]"

والنفس "هي جوهر الإنسان، ومحرك أوجه نشاطه المختلفة؛ إدراكيةً، أو حركية، أو فكرية، أو انفعالية، أو أخلاقية؛ سواء أكان ذلك على مستوى الواقع، أو على مستوى الفهم، والنفس هي الجزء المقابل للبدن في تفاعلهما وتبادلهما التأثير المستمر والتأثر، مكونين معًا وحدةً متميزة نطلق عليها لفظ (شخصية) تُميز الفرد عن غيره من الناس، وتؤدي به إلى توافقه الخاص في حياته.[٤]"

---

١ انظر: لسان العرب.

٢ المصدر السابق.

٣ من كتاب التعريفات للمؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (المتوفى: ٨١٦ هـ)، بإيجاز بسيط.

٤ الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف الدكتور/ محمود حمدي زقزوق.

المبحث الأول

النفس في القرآن الكريم معانيها ومرادها

تكررت كثيراً – النَّفْس– في كتاب الله تبارك وتعالى في مواضع عديدة، وتكررت معانيها بحسب سياق الآيات الكريمة الواردة فيها، ومن تلك المعاني:

أولًا: قد تأتي كلمة – النفس – ويقصد بها الرُّوح، ومثال قوله تعالى : ﴿ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٤٤)؛ أي: تدعون وتتركون، والدليل على أن النفس هي الروح، قول الله تبارك وتعالى ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (الزمر: ٤٢)؛ المقصود هي الأرواح[١].

ومثالاً آخر قول الله تبارك وتعالى :﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ﴾ (الأنعام: ٩٣)، أي: أن الكافر إذا حضرته الوفاة بشَّرتْه ملائكة العذاب بالعذاب والعقاب، والأغلالِ والسلاسل، والجحيم والحميمِ، وغضب الرحمن الرحِيمِ، فتتفرَّق رُوحه في جسده، وتعصى وتأبَى الخروج، فتَضْرِبهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم :﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٣)؛ أي: اليوم تُهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذِبون على الله، وتستكبرون عنِ اتِّباعِ آياته، والانقياد لرسله[٢].

---

١ مستفاد من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، (المؤلف): أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ).

٢ تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ).

ثانيًا: وتأتي كلمة – النفس – بمعنى الإنسان؛ أي: الشخصية البشرية بكامل أهليتها، وهو الإنسان بكامله، وهذا كثيراً ما يأتي في القرآن، ومثال ذلك:

فقد بين الله تبارك وتعالى هذا الأمر موضحاً ذلك جلياً في كتابه العزيز الناس أجمعين أن يحذروا يوم القيامة ويعملوا أعمالاً صالحة، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ (البقرة: ٤٨)، وقوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾ (آل عمران: ١٤٥).

وقد كثُر استعمال النَّفْس في الإنسان خاصة؛ حيث تطلق ويقصد بها هنا المركب والجملة المشتملة على الجسم والروح[١]، ويظهر هذا في غيرِ ما سبق، في قوله تعالى أيضًا :﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ (القصص: ٣٣)، والمقصود بهذه الآية هو الرجلُ الذي قتله موسى في أرض مصر.

ثالثًا: وقد تأتي النفس ويقصد بها العقل والفكر :

مثال ذلك قول الله تبارك وتعالى :﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ (المائدة: ١١٦)؛ قال ابن عاشور– رحمه الله –: النَّفْس تطلق على العقل وعلى ما به الإنسان إنسان، وهي الروح الإنساني، وتطلق على الذات، والمعنى هنا: تعلم ما أعتقده؛ أي: تعلم ما أعلمه؛ لأن النفس مقر العلوم في المتعارف، وإضافة النفس إلى اسم الجلالة هنا بمعنى العلم الذي

١ آفات النفس؛ تأليف: نعيمة عبدالله البرش، إشراف الدكتور/ رياض محمود قاسم.

لم يطلِع عليه غيره؛ أي: ولا أعلم ما تعلمه؛ أي: مما انفردت بعمله، وقد حسَّنه هنا المشاكلة كما أشار إليه في الكشاف[1].

رابعًا: وقد تأتي النفس ويقصد بمعنى القدرة على إدراك الخير والشر:

وقد تأتي – النفس – ويقصد بها قوى الخير والشر ولها صفات كثيرة؛ منها: القدرة على إدراك الخير والشر، والتفريق بينهما؛ قال تبارك وتعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (الشمس: ٧، ٨)، وقال عز وجل :﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد: ١٠)؛ أي: بيَّنا له الطريقين، طريق الخير وطريق الشر، فمن استخدم هذه القوة في الخير وغلبها على الشر، فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وجناها وأضعفها، فقد خاب[2]؛ قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾(الشمس: ٩، ١٠).

١ التحرير والتنوير، "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"؛ المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (المتوفى: ١٣٩٣ هـ).

٢ في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، (المتوفى: ١٣٨٥هـ).

المبحث الثاني

النفس البشرية في القرآن الكريم حقيقتها وبيانها

يعرف الطريق القرآني هو الطريق الصحيح لمعرفة النفس وحقيقتها وبيانها؛ لأن الذي خلق النفس هو الله تبارك وتعالى، وهو أعلم – سبحانه – بما يُصلحها وبما يفسدها، وهو أعلم - جل جلاله – بما فيها من طاقات وأسرار؛ قال تبارك وتعالى (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)(سورة الملك، آية: ١٤)؛ فمثلاً الذي يصنع أو يخترع آلة يكون أكثر الناس معرفة بها وبما يصلحها؛ فالمنهج القويم والسبيل الوحيد لمعرفة النفس وحقيقتها وبيانها هو ما جاء في الوحيين (القرآن الكريم والسنة النبوية)، والغاية من نزول القرآن الكريم هي إخراج الناس من عبادة الاصنام إلى عبادة الواحد الديان، وهداية البشر، وتعليمهم، وتنظيم حياتهم؛ فنجد فيه الوصف لأنواع النفس، وبيانها وحقيقتها وطرق تربيتها وتهذيبها، وقد قام النبي –عليه الصلاة والسلام– بتبليغه وتعليمه للناس، وبيانه لهم في كيفية التعامل معه كجماعة أو كفرد؛ فهو يخاطب العقل والقلب، ويعطي التصور الحقيقي عن الحياة والوجود[١]، ومن الأمور التي بينها الله –تعالى– في القرآن الكريم عن النفس والإنسان، وكيفية التعامل معها، ما يأتي[٢]:

تكوين الإنسان من مادة وروح؛ لقوله –تعالى–: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (سورة ص، آية: ٧١–٧٢.)، فالنفس البشرية تجمع بين صفات الحيوان

١ سميح عاطف الزين (١٩٩١)، علم النفس معرفة النفس الإنسانية في القرآن والسنة، بيروت: دار الكتاب اللبناني، صفحة ٦٢–٦٤، جزء ١. بتصرف.

٢ محمد عثمان نجاتي (٢٠٠١)، مدخل إلى علم النفس الإسلامي (الطبعة الأولى)، القاهرة: دار الشروق، صفحة ١٠٣–١٠٨. بتصرف.

والملائكة، من حيث حاجاته ودوافعه الفطرية والغريزية، وكذلك الحاجات الروحية، وهذا التكون يؤدي بالإنسان إلى رفض المفاهيم والمعتقدات الباطلة؛ كرفضه للنظريات التي تفسر السلوك البشري على أنه سلوك ميكانيكي فقط بعيداً عن الجانب الروحي، وتكوين الإنسان على الخير بطبيعته من خلال التمييز بين الخير والشر والحق والباطل؛ فيميل إلى الخير ويرتاح له بفطرته، ويبتعد عن الشر ولا يرضاه بفطرته؛ لقول النبي – عليه الصلاة والسلام–: (استفتِ قلبكَ: البرُّ ما اطمأنتْ إليهِ النفسُ، واطمأنَ إليهِ القلبُ، والإثمُ ما حاكَ في النفسِ وترددَ في الصدرِ، وإن أفتاكَ الناسُ وأفتوكَ)[1]. حرية الإنسان في الاختيار والإرادة، وذلك من خلال العقل الذي وهبه الله –تعالى– إياه؛ لقوله –تعالى–: (وقُلِ الحَقُّ مِن رَبِّكُم فَمَن شاءَ فَليُؤمِن وَمَن شاءَ فَليَكفُر) (سورة الكهف، آية: ٢٩)، وبيان موقفه من المصائب ونوازع الإثم التي تعترضه في حياته. مصدرية القرآن للمعلومات الأساسية عن النفس؛ فهو كتاب منزل لهداية البشر، وهو يبين أحوال النفس وطرق تهذيبها. سمات علم النفس القرآني يستمد علم النفس القرآني أصوله من القصص الواردة في القرآن، ومواقف الأنبياء والرسل مع أقوامهم، والتي تبين من خلالها طبيعة النفس البشرية وأبعادها، وجاءت هذه السمات والخصائص كما يأتي[2]:

المنهج القرآني يوردها بأسلوب الإعجاب؛ مما يثير في النفس حب الاطلاع عليها ويستخدم أسلوب التعلم الخارج عن واقع المتعلم ومحيطه؛

---

١ رواه النووي، في الأربعون النووية، عن وابصة بن معبد الأسدي، الصفحة أو الرقم: ٢٧، حسن.

٢ أحمد جهان الفورتيه (١٩٩٤)، القرآن أصل التربية وعلم النفس (الطبعة الأولى)، قبرص: دار الملتقى للطباعة والنشر، صفحة ٨. بتصرف.

ليتيح له فرصة التعلم والإلمام بالكليات. كذلك يوظف عناصر البيئة الموجودة؛ ليبين المعاني ويثير انتباه العقل، ويذكر النماذج والتجارب العملية في الكفاح والصبر ؛ لتكوين القدوة ويتعامل مع النفس كواقع بشري، ويحيط بها من جميع جوانبها في مختلف مجالات الحياة، ويبتعد عن الحرج والمشقة، ويعتمد أسلوب الرفق والتيسير ، وأيضا جاء لفظ النفس في القرآن في مئتين وخمس وتسعين موضعاً من القرآن كما جاء عن المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، سواء وردت بالإفراد أو بالجمع أو بالتثنية، وجاءت بعدة دلالات، وهي كما يأتي[1]:

الذات الإنسانية وبيان مراتبها ونوازعها وأصلها: الذات الإنسانية تتصف بصفات خاصة، قال –تعالى–: (فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّـهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً)(سورة النور، آية: ٦١)؛ أي وجوب التسليم على الأهل عند الدخول عليهم، وقد تطلق على ذات البشر القدسية وهم الأنبياء، قال –تعالى–: (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ)(سورة آل عمران، آية: ٩٣)، وقد تطلق على الأصل البشري، قال –تعالى–: (يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا)(سورة النساء، آية: ١). وتعد صفة السكينة الصفة التي يستطيع الإنسان من خلالها قيادة نفسه، والانسجام بين عناصرها، وخضوعها لأمر صاحبها، وهي تعني الهدوء والتركيز مع وضوح الرؤية والتركيز نحو الأهداف، مما يجعل المسلم متوازناً بين إشباع رغباته بما لا يتعارض مع الآخرين؛ فيخالف الإنسان هواه وشهواته، ويخرج من

١ زين حسين أحمد ياسين (٢٠٠٩)، ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم، نابلس – فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، صفحة ٣٠–٣٢. بتصرف.

عبودية النفس إلى عبودية الله –تعالى–، مما يجعله يفوض أمره لخالقه؛ فلا يفرح بالكسب، ولا يصيبه اليأس من الخسارة، قال –تعالى–: (وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)(سورة البقرة، آية: ٢١٦)؛ فالإيمان بالله –تعالى– وآياته تحقق السكينة عند المسلم وتشعره بالراحة النفسية؛ بتوجيه الإنسان لجميع عناصر نفسه باتجاه واحد، وهو الله –تعالى–[١].

وقد جاءت النفس في القرآن على ثلاثة أنواع، وبيانها كالتالي[٢]:

النفس اللوامة: وهي النفس التي تلوم صاحبها في الخير والشر، وتشعر بالندم على ما فات؛ فيحاسب الإنسان نفسه على كل شيء سواء أكان صغيراً أو كبيراً، ويندم إذا لم يقم به على اكمل وجه، أو ألقته في المعاصي؛ لعلمه أنه محاسب عن جميع أعماله يوم القيامة ولا يقبل منه عذر عند ذلك؛ كونه مختاراً فيما يفعل. قال تبارك وتعالى : (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ)(سورة القيامة، آية: ١–٢).

النفس الأمارة بالسوء: تسعى هذه النفس وراء الشهوات والملذات، وتصاب بالغرور بزينة الدنيا، فيكون الشيطان لها سبيل وسلطان على إغوائها، ولكن من رحمة الله –تعالى– بها، وعلمه بجوانب ضعفها؛ فإنه سيحاسب الإنسان على أعماله، ويغفر له إن تاب ورجع إليه، قال –تعالى:

١ مصطفى محمود (١٩٩٨)، علم نفس قرآني جديد، القاهرة: دار أخبار اليوم، صفحة ١٠–١٥، بتصرف.

٢ سميح عاطف الزين (١٩٩١)، علم النفس معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، بيروت: دار الكتاب اللبناني، صفحة ١٣٣–١٣٦، جزء ١. بتصرف.

(وَمَا أُبَرِّئُ نَفسي إِنَّ النَّفسَ لَأَمّارَةٌ بِالسّوءِ إِلّا ما رَحِمَ رَبّي إِنَّ رَبّي غَفورٌ رَحيمٌ) (سورة يوسف، آية: ٥٣).

النفس المُطمئنة: تعرف بذلك نفوس الأنبياء والأولياء.

وتوجد بعض المظاهر للنفس في القرآن، وهي كما يأتي[١]:

النفس البصيرة: وهي النفس الواردة في قوله –تعالى–: (بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) (سورة القيامة، آية: ١٤)، وهي التي تتحكم بسلوك الإنسان، سواء بعلاقته مع ربه، أو بعلاقته مع الآخرين، ويمكن لهذه النفس أن تدخل تحت مسمى النفس المطمئنة.

النفس الزكية والنفس الظالمة والنفس المجاهدة: النفس الزكية هي الطاهرة، وهي الواردة في قوله –تعالى–: (قَالَ أَقَتَلتَ نَفسًا زَكِيَّةً بِغَيرِ نَفسٍ لَقَد جِئتَ شَيئًا نُكرًا) (سورة الكهف، آية: ٧٤).

وأما الظالمة فهي التي تظلم نفسها وتظلم غيرها. وأما المجاهدة وهي التي تجاهد بجميع أنواع الجهاد لأجل الطاعة، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر.

صفات النفس في القرآن:

جاء ذكر العديد من الصفات للنفس، وهي: النفس تعمل وتُكلّف وتكسب، وقد جاء ذكر هذه الصفات في العديد من الآيات، مما يحث المسلم على العمل والاجتهاد في الخير والعمل الصالح، ومنها قوله: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (سورة البقرة، آية: ٢٨٦)؛ فيوم القيامة يحاسب الإنسان على جميع أعماله، سواء أكانت في الخير أو الشر.

---

١ خليل حسن حرب الزهور (٢٠١٢)، البناء النفسي في القرآن الكريم، القدس: جامعة القدس، صفحة ٢٤. بتصرف.

والنفس تشتهي كل ما يخطر عليها؛ سواء أكان حلالاً أو حراماً، ولكن النفس التي تشتهي الحرام وتبتعد عنه، وتتلذذ بما هو حلال ووفق ضوابط الشرع؛ فإن الله –تعالى– يعوض صاحبها عن ذلك بالخير يوم القيامة، قال –تعالى–: (لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ)(سورة الأنبياء، آية: ١٠٢)، النفس توسوس، وهي الواردة في قوله –تعالى–: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)(سورة ق، آية: ١٦)؛ فالنفس تتحدث وتوسوس لصاحبها بما فيها من الخير أو الشر، وهذه الوساوس لا يحاسب عليها الإنسان إلا إذا قال أو فعل.

والنفس تظلم، قال –تعالى–: (وَلَو أَنَّ لِكُلِّ نَفسٍ ظَلَمَت ما فِي الأَرضِ لَافتَدَت بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمّا رَأَوُا العَذابَ وَقُضِيَ بَينَهُم بِالقِسطِ وَهُم لا يُظلَمونَ) (سورة يونس، آية: ٥٤)؛ سواء بظلمها لنفسها بالشرك والكفر والنفاق، أو تظلم غيرها.

والنفس تفرط في حق الله تبارك وتعالى، وهذه الصفة جاءت بقوله –تعالى–: (أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) (سورة الزمر، آية: ٥٦)؛ وهذا التفريط يكون بحق الله –تعالى– بأداء العبادات.

والنفس تموت، وهي مفارقتها للجسد والبدن في وقت حدده الله –تعالى– لها، وصعودها إلى ربها، ثم رجوعها إلى صاحبها يوم القيامة للحساب على ما قدمت من خير أو شر؛ لقوله –تعالى–: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (سورة آل عمران، آية: ١٨٥).

ولقد حث القرآن الكريم الإنسان على التفكر في نفسه، وإلى معرفة أسرارها؛ كقوله –تعالى–: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (سورة الذاريات، آية: ٢٠–٢١).

وبالنظر فيما سبق نرى القرآن الكريم يحدث عن النفس، على أنها كائن له وجود ذاتي مستقل، وبمعنى آخر فإن القرآن يخاطب الإنسان في ذات نفسِه، باعتبار أن النفس هي القوة العاقلة المدركة فيه، فيقول سبحانه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾(الشمس: ٧، ٨).

ويقول جل شأنه :﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (الفجر: ٢٧ – ٣٠).

الخاتمة:

- أن القرآن الكريم عندما يتحدث عن النفس وحقيقتها لم يكن يقصد النظر القريب لتلك الآية، إنما يراد الوقوف على مواطن العظة والعبر في كل واحدة منها.
- أن الله تبارك وتعالى عندما وجه خطابه للإنسان لم يذكر له وسيلة معينة إلى الفهم والتدبر، إنما تركه يبحث ويستكشف الطرق الموصلة لهذه الغاية.
- طريقة القرآن الكريم في بيان النفس البشرية يخاطب الفطرة ويدعوها إلى الإيمان.
- ذكر النفس في القرآن الكريم جاء من أجل بيانها وتزكيتها، وحملها على مقتضياته الأخلاقية والعملية.
- حين اصبحت الشريعة الإسلامية بهذه القوة في أسلوبها وبيانها، دخل الناس في دين الله تبارك وتعالى.
- مهما حاول الفكر الوضعي أن يرتقي البشرية، ويعطيها الصورة المثالية التي يريدها، لم يستطع ذلك أمام قوة وبيان القرآن الكريم.

المقترحات والتوصيات:

على الباحثين الشرعيين وغيرهم أن يبحثوا وينظروا ويطلعوا في كل علم قديماً أو حديثاً ليعرفوا حقيقته ومفاتحه ويبحثوا فيه ويستنبطوا أسسه من كتاب الله –عز وجل– فلا يخفى عن كتاب الله خافية، فهناك بعض النظريات التي تخالف عقيدتنا الإسلامية فيجب على الباحثين والعلماء بيان حقيقتها وتوضحها وكشفها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، ابن منظور الأنصاري، الرويفعي، الإفريقي، (المتوفى: ٧١١ هـ).

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (المتوفى: ٣٩٣هـ)

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين، أبو طاهر، محمد ابن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧ هـ).

كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (المتوفى: ٨١٦ هـ).

الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف الدكتور/ محمود حمدي زقزوق.

جامع البيان في تفسير القرآن للطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير ابن يزيد بن كثير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ).

تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ).

آفات النفس؛ نعيمة عبدالله البرش، إشراف الدكتور/ رياض محمود قاسم.

التحرير والتنوير، "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد": محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (المتوفى: ١٣٩٣ هـ).

في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، (المتوفى: ١٣٨٥هـ).

سميح عاطف الزين (١٩٩١)، علم النفس معرفة النفس الإنسانية في القرآن والسنة، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

محمد عثمان نجاتي (٢٠٠١)، مدخل إلى علم النفس الإسلامي (الطبعة الأولى)، القاهرة: دار الشروق.

أحمد جهان الفورتيه (١٩٩٤)، القرآن أصل التربية وعلم النفس (الطبعة الأولى)، قبرص: دار الملتقى للطباعة والنشر.

زين حسين أحمد ياسين (٢٠٠٩)، ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم، نابلس – فلسطين: جامعة النجاح الوطنية.

مصطفى محمود (١٩٩٨)، علم نفس قرآني جديد، القاهرة: دار أخبار اليوم.

خليل حسن حرب الزهور (٢٠١٢)، البناء النفسي في القرآن الكريم، القدس: جامعة القدس.

ترجمة المراجع العربية:

The Holy Quran.

Ahmed Jahan Al-Fourteh (1994), The Qur'an is the Origin of Education and Psychology (First Edition), Cyprus: Dar Al-Multaqa for Printing and Publishing.

alsihah taj allughat and the Sahih of Arabic: Abu Nasr, Ismail bin Hammad Al-Jawhari Al-Farabi, (deceased: 393 AH)

Book of litaerifat: Ali bin Muhammad bin Ali Al-Zain Al-Sharif Al-Jurjani, (deceased: 816 AH).

In zilal of the Qur'an, Sayyid Qutb Ibrahim Hussein Al Sharbi, (deceased: 1385 AH).

Insights of those with discernment into the subtleties of the Mighty Book: Majd al-Din, Abu Taher, Muhammad Ibn Yaqoub al-Fayrouzabadi (deceased: 817 AH).

Interpretation of the Great Qur'an (Ibn Kathir): Abu Al-Fida Ismail bin Omar bin Kathir Al-Qurashi Al-Basri, then Al-Dimashqi (deceased: 774 AH).

Jami' al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an by al-Tabari: Abu Jaafar, Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Katheer al-Tabari (224-310 AH).

Khalil Hassan Harb Al-Zuhur (2012), The Psychological Structure in the Holy Qur'an, Jerusalem: Al-Quds University.

Lisan al-Arab: Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din, Ibn Manzur al-Ansari, al-Ruwaifi'i, al-Ifriqi, (deceased: 711 AH).

Muhammad Othman Najati (2001), Introduction to Islamic Psychology (first edition), Cairo: Dar Al-Shorouk.

Mustafa Mahmoud (1998), New Qur'anic Psychology, Cairo: Akhbar Al-Youm House.

Samih Atef Al-Zein (1991), Psychology: Knowing the Human Soul in the Qur'an and Sunnah, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Lubani.

afat alnafs; Naima Abdullah Al-Barsh, supervised by Dr. Riyad Mahmoud Qassem.

altahrir and altanwir, "Liberating the True Meaning and Enlightening the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book": Muhammad al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad al-Tahir bin Ashour al-Tunisi, (deceased: 1393 AH).

The General Islamic Encyclopedia, supervised by Dr. Mahmoud Hamdi Zaqzouq.

Zein Hussein Ahmed Yassin (2009), Words of the Conditions and Attributes of the Soul in the Holy Qur'an, Nablus - Palestine: An-Najah National University.